❖ المقولة الأولى: في مضارعة الحركات للحرف

إذ جعل ابن جني لهذه المضارعة باباً، وعلل هذا الامر الحادث فيها، وجعل سببه أن الحركة حرف صغير، وما ينشأ عنها حرف كبير عن طريق الاشباع والمطّ، وهذا متأتيٌ عما نقل عن متقدمي القوم الذين كانوا يسمون الضمة الواو الصغيرة والكسرة الياء الصغيرة والفتحة الالف الصغيرة، يقول: (ويؤكد ذلك عندك أنك متى أشبعت ومَطَلت الحركة أنشأت بعدها حرفا من جنسها)[١]، ويستدل على هذا بما روي عن ابن هرمة بإنشاده قال:

وأنت من الغوائل حين تُرمى ومن ذمّ الرجال بمنتزاح[٢]

ثم يجعل هذه الحركات في حال اشباعها ومطلها حروفا، أي أنها تجري مجرى الحروف، لأنها في تلك الحال التي خلصت عليها قد تمت ووفت[٣]، ومن ابواب المضارعة بين الحركات والحروف ما يقع منها في الاعراب، إذ نجد الحروف تقع موقعها وتجري مجراها في الاعراب رفعاً ونصباً وجراً، في الرفع يتمثل في قولهم: جاء أخوك، والنصب: رأيت اباك، والجر: مررت بأبيك، فضلاً عن الجمع والتثنية كـ الزيدين، فالحروف في هذه الحال تكون فرعاً على الحركات في الاعراب، ولايقف الامر عند تلك المماثلة بل نجدها تذهب بمستعمل اللغة الى حذف تلك الحركة طلباً للخفة كما هو حال الحرف الذي يحذف للغرض نفسه[٤] كما في قول الشاعر:

فألجقتُ أخراهم طريق أُلاهم كما قيل نجم قد خوى متتابع

يريد: أولاهم[٥]، ومن النصوص التي حذفت فيها الحركة قول المغيرة بنِ عبدِ اللهِ المعروفِ بالأُقَيْشِرِ الأسديّ:

رُحْتِ وفي رِجْلَيْكِ ما فيهما وقد بدا هَنْكِ مِنَ المئزرِ[٦]

إذ شبّهَ هَنْكِ بعضدٍ فأسكنَهُ[٧]، ويرى ابنُ جنّيّ في ذلك – اختلاسِ الحركةِ – غرضاً من أغراضِ البدوِ وفيه لطفُ أسرارِهم حتى إنهم لم يضايقوا أنفسَهم وخفّفوا على ألسنتِهم بأنْ اختلسوا الحركاتِ اختلاساً وأخفوها فلم يمكّنوها في أماكنَ كثيرةٍ ولم يُشبعوها[٨]، فحُذفتْ هذه الحركاتُ بغية التخفيفِ[٩].

ومثله قول أبي نخيلة يعمرُ بنُ حزنٍ:

إذا اعوَجَجْنَ قلتُ صاحبْ قوّمِ بالدَوّ أمْثالَ السَّفينِ العُوّمِ[١٠]

---

١) الخصائص : ٢ : ٩٨.
٢) ديوانه : ٩٢.
٣) يُنظر الخصائص : ٢ : ٩٩.
٤) يُنظر المصدر نفسه : ٢ : ٩٩.
٥) يُنظر المصدر نفسه : ٢ : ٩٩.
٦) الكتابُ : ٤ : ٢٠٣(الشَّاهد دون نسبة)، وقد نسب للأقيشر في شرح أبيات سيبويه ٢ : ٣٩٠، وخزانة الأدب : ٤ : ٤٨٧، والبيت في ديوانه : ٤٣.
٧) يُنظر: الخصائص : ٢ : ٣٢٥.
٨) المصدر نفسه : ١ : ١١٧-١١٨.
٩) المصدر نفسه : ٢ : ٩٩.
١٠) الكتابُ : ٤ : ٢٠٣، و الشاهد منسوب في شرح أبيات سيبويه : ٢ : ٣٩٨، الخصائص : ٢ : ١٠٠.

فحذف الحركة من باء (صاحب) ومثله قول امرئِ القيسِ بنِ حجرٍ:

فـــاليومَ أَشْـــرَبْ غيـــرَ مُسْـــتَحْقِبٍ إثمـــــاً مـــــن اللهِ ولا واغـــــلِ[11]

إذ حُذفتْ حركةُ الإعرابِ وسُكّنَتْ الباءُ من الفعلِ (أشْرَبْ) وأُشمّتْ وفي ذلك ضربٌ من التخفيفِ[12].

ومن طرائق تلك المضارعة حمل الحروف(الالف، والواو، والياء) اذا اشبعت على الحركات، لان في حال اشباعهنَّ، أدين الى حرف آخر غيرهن، إلا أنه شبيه بهن، وهو حرف الهمزة يقول ابن جني: (ألا تراك إذا مطلت الالف أدَّتك الى الهمزة فقلت: آءْ، وكذلك الياء في قولك: إيءْ، وكذلك الواو في قولك: أُوءْ، فهذه كالحركات إذا مطلتها أدَّتك الى صورة أخرى غير صورتها)[13].

ومن المضارعة ايضاً المساواة بين الفتحة والالف على وجه التحقيق، وهذا ما يتضح في تاء التأنيث الواحدة، إذ لا يكون ما قبلها الا مفتوحاً كحمزَة، و طلحَة، ولا يكون ساكناً، فإن كان الالف وحدها من بين سائر الحروف جازت، وذلك نحو: قطأة، وحصاة، ويقول ابن جني: (أفلا ترى الى مساواتهم بين الفتحة والالف حتى كأنها هي هي)[14]

ومن المضارعات أيضاً، كيفية بيان الحركة بيان الحركة من خلال استعمال حرف الهاء، اسوة ببيانهم الحرف بالهاء، وذلك قولهم: وازيداهُ، وا غلامهماه[15] لان الوقف يضعف الحركة لذلك جيء بالهاء تبياناً لها[16]

❖ المقولة الثانيـــة: في محـل الحركة من الحرف:

قيل إن الحركة تحدث بعد الحرف، وهذا مذهب سيبويه، وقال غيره تكون مع الحرف تحدث بحدوثه، وذهب اخرون الى أنها تحدث قبل الحرف[17].

والذي ذهب اليه ابن جني ما نقله عن سيبويه كون الحركة حادثة بعد الحرف، واستدل على وجود الحركة فاصلة بين المثلين مانعة من إدغام الأول في الاخر نحو: الملل، و الضفف، والمشش، كما تفصل الالف بعدها بينهما نحو: الملال، و الضفاف، والمشاش، وكذلك استدل بـ: شددت ومددت، قال: (فلن تخلو حركة الأول من أن تكون قبله أو معه أو بعده، فلو كانت في الرتبة قبلها لما حجزت عن الادغام ألا ترى أن الحرف المتحرك بها كان يكون على ذلك بعدها حاجزاً بينهما وبين ما بعدهما من الحرف الاخر)[18].

ثم تحدث عن فساد كونها حادثة مع الحرف قال: (لو أمرنا مذكَّرا من الطيّ، ثم أتبعناه أمرا آخر له من الوجل من غير حرف عطف نلا بل بمجيء الثاني تابعا للأول ألبته لقلنا: إطوِ ايجل، والاصل فيه: اطوِ اوْجل، فقلبت الواو التي هي فاء الفعل من الوجل ياءً، لسكونها وانكسار ما قبلها، فلولا أن كسرة واو (طو) في الرتبة بعدها لما قلبت ياءً واو (اوجل))[19]. إذ يرى بقلب الواو الثانية من (أطوِ أوجلْ) ياء (اطو ايجل) دليلاً على أن الكسرة أدنى إليها من الواو قبلها، واذا كانت أدنى إليها كانت بعد

---

١١) الكتابُ : ٤ : ٢٠٤، خزانة الأدب : ٤ : ١٠٦.
١٢) يُنظر: الخصائص : ٢ : ١٠٠.
١٣) المصدر نفسه : ٢ : ١٠٠.
١٤)الخصائص : ٢ : ١٠١.
١٥)يُنظر المصدر نفسه : ٢ : ١٠١
١٦)يُنظر الخصائص : ٢ : ١٠٩.
١٧)يُنظر المصدر نفسه : ١٠٤.
١٨)الخصائص : ٢ : ١٠٤.
١٩)المصدر نفسه : ٢ : ١٠٥.

الواو المحركة بها لامحالةَ[٢٠].

ومن خلال تلك الاستدلالات والردود المحنا عند ابن جني أن الحركة الحادثة بعد الحرف تغيره عن وجهة في النطق، وجاء بهذا الامر من خلال الردّ على قول ابي علي الفارسي الذي يقوي قول القائل (إن الحركة تحدث مع الحرف، أن النون الساكنة مخرجها مع حروف الفم من الانف، والمتحركة مخرجها من الفم، فلو كانت حركة الحرف تحدث من بعده لوجب أن تكون النون المتحركة أيضاً من الانف)[٢١]، وردَّ ابن جني على هذا القول بقوله: (فمنه أن النون الساكنة إذا وقعت بعدها الباء قلبت النون ميما في اللفظ وذلك نحو: عَمْبر، وشمباء في عنبر وشنباء، فكما لايشك في أن الباء في ذلك بعد النون وقد قلبت النون قبلها، فكذلك لا ينكر أن تكون حركة النون الحادثة بعدها تزيلها عن الانف الى الفم، بل إذا كانت الباء أبعد من النون قبلها من حركة النون فيها وقد اثرت على بُعدها ما أثرته كانت حركة النون هي الاقرب إليها، وأشد التباسا بها، أولى بأن تجذبها وتنقلها من الانف الى الفم)[٢٢].

وبعد عرض ومناقشة تلك المقولات التي تحدثت عن رتبة الحركة، خلص الى (أن الحرف الناشئ عن الحركة لو ظهر لم يظهر إلا بعد الحرف المحرَّك بتلك الحركة، وإلا فلو كانت قبله لكانت الالف في نحو: ضارب، ليست تابعة للفتحة لاعتراض الضاد بينهما، والحسُّ يمنعك ويحظر عليك أن تنسب إليه قبول اعتراض معترض بين الفتحة والالف التابعة لها في نحو ضارب وقائم)[٢٣].

❖ المقولة الثالثة: في تنوع الحركات:

يطالعنا ابن جني في موضع اخر من كتابه الخصائص عما يكون بين كلّ حركتين حركة، مع الاقرار بأن الحركات ثلاث (الفتحة، الضمة، الكسرة) ولكن وفقَ هذا التصور يكون محصولها على الحقيقة ستٌّ، قال: (فالتي بين الفتحة والكسرة هي الفتحة الممالة نحو فتحة عين (عالم) وكاف (كاتب)، فهذه حركة بين الفتحة والكسرة، كما أن الالف التي بعدها بين الالف والياء، والتي بين الفتحة والضمة هي التي قبل ألف التفخيم نحو فتحة اللام من الصلاة والزكاة والحياة، والتي بين الكسرة والضمة، ككسر قاف (قيل) وسين (سِير) فهذه الكسرة المشمة ضمّاً، مثلها الضمة المشمة كسراً كضمة قاف (المُنْقُر)، وضمة عين (مذعُور))[٢٤].

---

٢٠)يُنظر الخصائص : ١ : ١٠٥.
٢١)الخصائص : ٢ : ١٠٥_١٠٦
٢٢)المصدر نفسه : ٢ : ١٠٦.
٢٣)المصدر نفسه : ٢ : ١٠٨.
٢٤)الخصائص : ٢ : ٣٤٧.

❖ المقولة الرابعة: في الحركة وإنشاء الحرف من جنسها

قال ابن جني: (وإذا فعلت العرب ذلك أنشأتَ عن الحركة الحرف من جنسها، فتنشئ بعد الفتحة الالف، وبعد الكسرة الياء، وبعد الضمة الواو)[٢٥]، واستدل على ذلك بجملة من النصوص التي اشبعت فيها تلك الحركات، فروى نصّاً لابن هرمة انشاداً عن ابي علي الفارسي:

فأنت من الغوائل حين تُرمى ومن ذم الرجال بمنتزاح[٢٦]

أراد: بمنزح (مفتعل) من النازح[٢٧]

ونقل عن الفراء عن العرب أنهم يقولون: أكلت لحما شاةٍ، أراد: لحم شاة، فمطل الفتحة فأنشأ عنها إلفاً[٢٨]، ومن اشباع ما جاء عنهم من الصياريف كقول الفرزدق:

تنفي يداها الحصى في كلّ هاجرةٍ نفي الدَّنانيرِ تنقادُ الصياريف[٢٩]

و مثله: المطافيل والجلاعيد[٣٠]

❖ المقولة الخامسة: في إنابة الحركة عن الحرف

تكون الحركة في هذا المورد نائبةً عن الحرف المحذوف و دليلاً عليه، كقول الشاعر:

كفَّاك كفٌّ لا تُليق درهما جوداً و أخرى تعطِ بالسيف الدما

يريد تعطي[٣١] فحذف الياء وجعل الكسرة دليلاً عليها.

وجعل ابن جني نظير ذلك قوله تعالى(يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ)[٣٢]، وهو كثير في الكسرة[٣٣]، ومثله في الضمة قال الله عز وجل (ويمحُ الله الباطل)[٣٤]، و قوله تعالى(يوم يدعُ الداعِ)[٣٥]، وقوله تعالى: (سندعُ الزبانية)[٣٦] ، وقيل لهذا نظائر في المفتوح قليل، وعلل قلة ذلك لخفة الالف، ولعل الامر في جميع ذلك ومعظمه كان مدعاة للخفة، اي أنهم قصدوا الى القول بالحركة التي هي جزء من الحرف قصداً، وما جاء بحذف الالف قول القائل:

لا أو الفاً مكة من ورُق الحمى

يريد الحمام[٣٧]

ويرى ابو عثمان في قوله تعالى(يا أبتِ)[٣٨]، أن الالف قد حذفت وجتزء عنها بالكسرة وأراد: يا أبتا فحذف الالف[٣٩]

❖ المقولة السادسة: في هجوم الحركات

تحدث ابن جني عن هذه الظاهرة الصوتية، وقسمها على قسمين، احدهما يكون كثيراً مقيساً

---

٢٥)الخصائص : ٢ : ٣٤٨،وسر صناعة الاعراب : ١ : ٢٧.
٢٦)ديوانه : ٩٢.
٢٧)يُنظر الخصائص : ٢ : ٣٤٨.
٢٨)يُنظر المصدر نفسه : ٢ : ٣٤٩.
٢٩)يُنظر الشاهد في كتاب سيبويه : ١ : ٢٨.
٣٠)يُنظر الخصائص : ٢ : ٣٥٠.
٣١)يُنظر المصدر نفسه : ٢ : ٣٥٨،وسر صناعة الاعراب : ٢ : ٥١٩.
٣٢) الزمر/١٦
٣٣)يُنظر الخصائص : ٢ : ٣٥٨.
٣٤) الشورى/٢٤
٣٥) القمر/٦
٣٦) العلق/١٨
٣٧)يُنظر الكتاب : ١ : ٢٨.
٣٨) يوسف/٤
٣٩)يُنظر الخصائص : ٢ : ٣٦٠.

على كلام العرب، والاخر قليل غيرُ مقيسٍ.

والمقيس عنده يكون في التفاق الحركتين، أو أن تختلفا فيه، فيكون الحكم للطائ منها على ما مضى[٤٠].

فالمتفقان قولك: هم يغزون ويَدْعُون، واصله: يغزوْون، فأسكنت الواو الأولى التي هي اللام، وحذفت لسكونها وسكون واو الضمير والجمع بعدها (يَ/غـْ/زُ/وُ- /وْ/نَ/) ونقلت تلك الضمة المحذوفة عن اللام الى الزاي التي هي عين (يَ/غـْ/زُ/وْ/وْ/نَ/) فحذفت لها الضمة الاصلية في الزاي، لطروء الثانية المنقولة من اللام إليها عليها[٤١].

وأما المختلفان فأمرهما واضح، وذلك قولك: يرمون، و يقضون، والاصل يرميون، ويقضيون، فأسكنت الياء استثقالا للضمة عليها (يَ/رْ/مـُ/يُ/وْ/نَ)، ونقلت الى ما قبلها فأبتزته كسرته، لطروئها عليها، فصار: يرمون، ويقضون[٤٢].

ومثله في قولهم: أنتِ تغزين، واصله: تغزُوين، فنقلت الكسرة من الواو الى الزاي، فابتزتها ضمتها فصارت: تغزِين.

إلا ان منهم من يُشمَّ الضمة إرادة للضمَّة المقدرة، ومنهم من يُخلِص الكسرة فلا يشم[٤٣].

ثم بين ابن جني كيفية مراعاة تلك الحركات في الموضعين اعلاه، يقول: (إنهم إذا أمروا ضمَّوا همزة الوصل وكسروها إرادة لهما، وذلك كقولهم: اقضوا، ابنوا، وقولهم: أغزي، ادعي، فكسرهم مع ضمة الثالث، وضمهم مع كسرته يدل على قوة مراعاتهم للأصل المغّير، وانه عندهم مراعًى متعمدٌّ مقدر)[٤٤].

أما ما يكون في غير القياس، فقد تمثل بقول القائل:

وقــال اضــرب الســاقين إمّــك هابــل

واصله: امك هابل، إلا أن همزة (أمَّك) كُسرت لانكسار ما قبلها على حدّ قراءة من قرأ (فلإمه الثلث)[٤٥] ، فصار: إمُّكَ هابل ثم اتبع الكسرُ الكسرَ، فهجمت كسرة الاتباع على ضمة الاعراب فابتزتها موضعها، فهذا شاذٌّ لا يقاس عليه[٤٦].

---

٤٠)يُنظر المصدر نفسه : ٢ : ٣٦٢.

٤١)يُنظر المصدر نفسه : ٢ : ٣٦٢

٤٢)المصدر نفسه : ٢ : ٣٦٣.

٤٣)المصدر نفسه : ٢ : ٣٦٣.

٤٤)الخصائص : ٢ : ٣٦٣،

٤٥) النساء/١١

٤٦)يُنظر الخصائص : ٣ : ٣٦٥.